الإلحاد والأمن القومي

الكاتب : محمد الباهلي
تاريخ الخبر: 26-08-2016

في عددها ليوم 25 مايو 2016 أجرت مجلة «المصور» حواراً مع الدكتور خالد عمران، مسؤول وحدة مواجهة الإلحاد بدار الإفتاء المصرية، تناول فيه مهام هذه الوحدة، وهي مواجهة الإلحاد والملحدين، وبيّن السبب الذي دعا دار الإفتاء لإنشائها، وهو تفاقم ظاهرة الإلحاد في المجتمعات الإسلامية، مما يهدد السلم الاجتماعي والأمن القومي. ووفقاً للدكتور عمران فهناك حالات متكررة تثير قضايا تتعلق بالإلحاد، ومواجهات متصاعدة على شبكة الإنترنت والإعلام الفضائي تثير تساؤلات وشبهات حول الأصول التي يؤمن بها المسلمون. ويذكر الدكتور عمران أن مثل هذه القضايا تحتاج جهداً كبيراً لتبسيط الردود وتوجيهها لمخاطبة الشباب. ثم يوضح وجود نوعين من الإلحاد، إلحاد غربي يشكك مباشرة في وجود إله خالق ومسيِّر، وإلحاد عربي يشكك في المقررات القطعية الدينية، وصولا للتشكيك في وجود الله تالياً.

إن تفشي ظاهرة الإلحاد في العالم العربي يمثل جزءاً من حملة سياسية مصاحبة لما شهدته وتشهده المنطقة، بغية فتح الباب على مصراعيه لصراعات فكرية خطيرة واتجاهات فلسفية إلحادية هدامة. فالإلحاد ينتج عنه وجود أشخاص ليس لهم انتماء ديني ولا وطني. لذلك ألقى محاضرة بعنوان «العلمانية هي الحل»، بدعوة من جمعية بريطانية مشبوهة، حرض فيها الغرب على الأمة الإسلامية، وقال إن «أي مسلم يعتقد أن دينه صالح لكل زمان ومكان هو إرهابي»، واتهم الأزهر بأنه معقل الإرهاب في العالم، وطالب الغرب بإعادة احتلال البلاد العربية.

وهناك أسباب حددها الدارسون تدفع الفرد للإلحاد، مثل: عنف الجماعات الإسلامية المتشددة، وتغلغل الإسلام السياسي في الحياة العامة، وضحالة الخطاب الديني لبعض المؤسسات الدينية الرسمية، وكذلك سياسات ومناهج التعليم، ووسائل الإعلام على اختلافها وما تقدمه، إضافة للمشكلات الاجتماعية، والإرهاب الفكري حيال الرأي الآخر. وهذا فضلاً عن دور القوى الخارجية الساعية لتنشئة عقل المسلم على حالة من الشك في الدين، وهذا أمر ملحوظ في الكثير من النماذج الفكرية.

كتب الشاعر فاروق جويدة مقالاً في «الأهرام» (16-6-2016) بعنوان «امرأة بألف رجل»، قال فيه: «كنت أجلس أمام كاتبنا الكبير توفيق الحكيم، ومعه نخبة من أكبر كتابنا، وكانت الدكتورة عائشة عبدالرحمن بنت الشاطئ المرأة الوحيدة في هذا الجمع من عقول مصر، ويومها دار سؤال غريب عن الصلاة في الإسلام، ولماذا كانت خمس صلوات ولم تكن واحدة؟ وإن كان قد تم فرضها في مجتمع جاهلي متخلف، فما ضرورتها الآن ونحن في مجتمع تقدم في كل شيء، وتوفرت فيه وسائل النظافة والطهارة؟ وانقسم الرأي حول القضية». ثم تابع جويدة: «يومها وقفت الدكتورة بنت الشاطئ وألقت محاضرة بديعة أمام هذه الرموز وقالت: إن الصلاة لم تشرع من أجل مجتمع جاهلي متخلف، ولم تكن وسيلة للنظافة حين يتوضأ الإنسان قبل كل صلاة، ولم تكن علاقة بدنية يتحرر الجسد فيها من مشاكل الحياة أمام خالقه، ولكنها رحلة روحية يقف فيها الإنسان أمام ربه في خشوع وخضوع، إنها مساحة من الزمن يصفو فيها القلب ويهدأ البدن ويمضي الإنسان في رحلة تبدو قصيرة في الزمن، لكنها أطول مما يتصور البشر، لأن الإنسان في صلاته يحلق في سماء الله طاعة وحباً وسماحة وصفاء قلب وروح.. وهي باب يومي للرحمة والاستغفار، وقد ضعها الإسلام في أرفع مراتب العبادة ليس لأنها فريضة، ولكن لأنها تواصل يومي بين الإنسان وخالقه».